الإنزياح في شعر شفيق المعلوف

سيدة زهرا أسدي
طالبة دكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية قم، إيران
zahraasadi@gmail.com
الدكتور محمد رضا يوسفي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية قم، إيران
Savabegyousefi@gmail.com

Displacement in the poetry of Shafiq Maalouf

Sayida Zahra Asadi
PhD student, Department of Arabic Language and Literature, Islamic Azad University, Qom, Iran
Dr. Mohammad Reza Yousefi (Responsible writer)
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Islamic Azad University, Qom, Iran

الملخص:-

من أكثر الطرق فعالية في إبراز لغة الشعر هو الإنزياح. الإنزياح هو نوع من القواعد التي تشمل جميع الحيل الّتي يستخدمها الشّاعر لجعل عالم النّص يبدو جميلاً لعيون الجمهور. يُعدُّ مفهوم الانزياح في الشعر العربي المعاصر أحد مفاهيم الأسلوبية والآليات التي تشتغل عليها، والتشبيه والاستعارة والمجاز مِن أهم أشكال هذا الانزياح الدلالي. ركّزت هذه الدراسة التي اعتمدت في خطّتها على المنهج الوصفي - التحليلي على الانزياحات التشبيهية والاستعارية والمجازية في أشعار شفيق المعلوف وتهدف إلى تصوّر جماليات استخدام هذه التقنيات في شعره وتبين مدى تأثيرها في امتلاك روح القارئ. شفيق المعلوف أحد أبرز شعراء المهجر وأحد مؤسسي العصبة الأندلسية بالبرازيل، وواحد من كبار شعراء العصر ومن أفضلهم. تظهر نتائج البحث أن شفيق المعلوف استخدم بعض الأساليب الدلالية غير المعيارية مما أدى إلى صعود مكانته الفنية والأدبية وشعره. وإنّه تعمد الانزياح البياني بغية خلق المعاني الجديدة التي تضفي جمالًا على النّصّ.

الكلمات المفتاحية: شفيق المعلوف، الانزياح، الشعر، المعاصر.

Abstract:-

One of the most effective ways to highlight the language of poetry is displacement. Displacement is a kind of rule that includes all the tricks that the poet uses to make the world of the text appear beautiful to the eyes of the audience. The concept of displacement in contemporary Arabic poetry is one of the concepts of stylistics and the mechanisms that work on it, and analogy, metaphor and metaphor are among the most important forms of this semantic displacement. This study, which relied on the descriptive-analytical approach in its plan, focused on simile, metaphorical, and metaphorical shifts in the poetry of Shafiq Al-Maalouf. Shafiq Al-Maalouf is one of the most prominent poets of the Diaspora and one of the founders of the Andalusian League in Brazil, and one of the great and best poets of the era. The results of the research show that Shafiq Al-Maalouf used some non-normative semantic methods, which led to the rise of his artistic and literary status and his poetry. It deliberately shifted the rhetoric in order to create new meanings that add beauty to the text.

Key words: Shafiq Maalouf, displacement, poetry, contemporary.

المقدمة:

عندما يعطل الشاعر أو الكاتب معايير اللغة اليومية بمساعدة الوزن والافتراضات واختيار الكلمات، وأحيانًا حتى نزوح بعض عناصر الجملة، يتمّ تسليط الضوء على اللّغة من قواعد الكلمة اليومية المستطاع. في الأدب العربي، تحول الشعراء بعد الحرب العالمية الثانية إلى الحداثة ورفضوا العديد من المعايير المقبولة للشعر والنثر. أول أولئك الذين صنعوا الحداثة في الأدب العربي هم بدر شاكر السياب ونازك الملايكه (عباس، ١٣٨٤ش: ٦٠).

إن الانزياح الشعري خلق أو رؤيا، وهو من هذه الزاوية لايقبل أي عالم نهائي وأن لاينحصر فيه، بل يفجره ويتخطاه. فالانزياح هو هذا البحث الذي لانهاية له؛ لذلك يقدر الانزياح الشعري أن يتعمق ويتفتح ويزدهر إلا في مناخ من الحرية الكاملة حيث الإنسان هو «الكلي على الإطلاق ولا حقيقة» (سلوم، ١٩٩٦م:١١٠).

أما شفيق المعلوف ولد في زحلة وساهم في تأسيس «العصبة الأندلسيّة»، وصار من أبرز شعراء العربيّة في المهجر. لقدنشأ هذا الشاعر الملهم في كنف والده العلامة، وورث عنه النبوغ الفطري وهو شاعر من الطراز الأول، يستمد من الطبيعة صوراً شعرية جميلة، ويطلق قوافيه حرة صافية، ويعبر عن دقائق العواطف بلغة جليلة مستحبة وأسلوب رائع وهو رئيس العصبة الأندلسية في سان بالو البرازيل التي أسسها خاله المرحوم الشاعر ميشال المعلوف فضمّت شعراء المهجر. في هذا المقال وباستخدام المنهج الوصفي-التحليلي يتم تحليل الإنزياح في أشعار شفيق المعلوف. ومحاولة للإجابة على السؤال ما هي عناصر الإنزياح في قصائد شفيق المعلوف؟ يبدو أن الشاعر اهتم بقضايا مثل التشبيه والاستعارة والمجاز. وبحسب الدراسات والأبحاث التي تم إجراؤها بخصوص هذه القضية ونتائجها، نجد أن الانزياح في قصائد شفيق المعلوف لم يلاحظه النقاد والباحثون، وهناك فراغ في العمل الذي يدرس هذا التأثير في قصائده، ويشعر أنه يلتفت إليه ويحللها. بعض الأطروحات والمقالات المتعلقة بهذا الموضوع هي: «شعر المهجر الجنوبي مع عنايه خاصّه بشعر الشاعر القروي، فوزي المعلوف و شفيق المعلوف» (١٣٩٨)، من حاتم مازندراني بإشراف الدكتور اميرحسين رسولنيا في جامعة كاشان. ومن نتائج هذا البحث أن هؤلاء الشعراء أعادوا إحياء الأدب العربي الذي كان راكداً لفترة طويلة، وبثوا فيه روحًا جديدة، واستطاعوا

خلق ابتكارات جديدة في الشعر العربي من خلال تأثرهم بالثقافة الغربية وأيضًا باتباع مثال الأدب العربي القديم، والشيء الآخر هو أن الابتعاد عن الوطن والغرباء كان له أثر كبير على أدبهم وهو المحتوى الرئيسي لشعرهم والتأمل الذاتي والاهتمام بطبيعته وروحه هو مؤثرة جدا في شعر هؤلاء الشعراء. «هنجارگريزي در اشعار سميح القاسم» (١٣٩٤) من عاطفه رحيمزاده بإشراف الدكتور مصطفي كمالجو في جامعة مازندران. في هذا البحث، تم التحقيق في الانزياح في جزء من الديوان الشعري لسميح القاسم من مستويات مختلفة من اللفظ، والدلالة، واللهجة، إلخ. لقد وجدت أنواع مختلفة من عدم التقييس نطاقًا واسعًا في قصائد سميح القاسم، والتي تتوافق مع أفكاره. لكنها تستخدم على نطاق واسع في مجال المعنى، مما أعطى قوة لقصائده باستخدام جوانب بلاغية مثل الاستعارات والتشبيهات وما إلى ذلك وجعل قصائده جميلة. وبهذه الطريقة يكون قد روى المعنى الرئيسي لخطابه وتركه للجمهور لفهم المعنى. «الانزياح في المرفوعات دراسه تحليليه من خلال القرآن الكريم و الشّعر العربي الحديث» (١٣٩١) من مجيد قاسمي بإشراف الدكتور جلال مرامي في جامعة علامه طباطبائي. محاولة في هذا البحث لشرح ثلاثة من المصطلحات العديدة التي لها مفهوم الانزياح (العدل، والانحراف، والمفارقة)، وهي أكثر وضوحا من البقية. وبعد ذلك من بين العديد من المعايير والمعايير لتحديد الانحراف المعياري، تمّ شرح أربعة عناصر بترتيب الاستخدام العادي، والبناء السطحي والبناء الأساسي، والنثر العلمي، والسياق. أخيرًا تم تحديد أنواع الانحراف المعياري بناءً على تصنيفات جلن كوهن وليتش وعدنان بن ذريل.

وبخصوص ضرورة هذا البحث أشير إلى أن التجنب المعياري في شعر شفيق المالوف مفيد من أبعاد مختلفة. لأن قصائده مليئة بالتشبيهات والاستعارات التي ستكون مفيدة لكل قارئ. على كل حال كان شاعراً اجتماعياً وكان يتفاعل مع القضايا الاجتماعية السائدة في المجتمع ويعكسها في قصائده.

الإنزياح لغة واصطلاحاً:

جاء في اللسان «نَزَحَ الشّيء ينزحُ نزحًا زُنُوحًا: بَعُدَ» (ابن منظور، ٢٠٠٩م: ٢٣١/١٣). قد ارتأينا عرض المفهوم اللغوي للإنزياح من خلال معجم آخر وهو «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار عمر بغية تقصي فوارق أو زيادات في مفهوم أو معنى

الإنزياح نزح: «وقد جاء في المفهوم اللغوي للإنزياح ما يلي: نزح غلى، نزح عن ينزح نزحًا ونزوحًا فهو نازح والمفعول منزوح. نزح الشّخص عن دياره: أبعده عنها، نزحهم قهرًا. ونزح الشخص عن أرضه: بعد السّكان النّازحون عن ديارهم، نزح إلى العاصمة: انتقل، سافر، نزح من الرّيف إلى المدينة». وفي الاصطلاح هو «طابع يلتوي بالدّلالات الوضعية الأولى للكلمات، ويلد منها بالمزج والتركيب والحذف والإضمار دلالات فنية ثانوية هي بمنطلق الشّعر أهم وأولى من تلك الدّلالات اللّغوية الوضعية»(محمد ويس، ٢٠٠٢م: ٤٦).

مصطلح «الانحراف» مصطلح تعددت صيغه، فقد أطلق عليه اسم «العدول»، «الانزياح»، «التجاوز»، «الخطأ»، «الكسر»، «الإنتهاك»، «الشذوذ» و«الجنون» (سلوم، ١٩٩٦م: ٩٠).

أقسام الإنزياح وعناصرها:

لعلّ ما يؤكّد أهمية الانزياح أنّه لاينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النّصّ وإنّما له أن يشمل أجزاء متعددة ومتنوّعة، فإذا كان قوام النّص لايعدو أنيكون في النهاية إلا كلمات وجملًا، فإنّ الانزياح قادر على أنيجيء في الكثير من هذه الكلمات والجمل، وهذا ماأُطلق عليه في النقد الحديث «الانزياح التّركيبي» لأنّه يتعلّق بتركيب اللّفظة مع جاراتها في السّياق الّذي ترد فيه، وقد تنبّه النّقاد القدماء إلى قيمة هذا الجانب الأسلوبي في باب التّطبيق النّقدي (غالب، ٢٠٠٨م: ٩٨)، إذ أعلى عبدالقاهر الجرجاني من قيمة التركيب في معرض حديثه عن الكلمة حيث قال: اعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها (الألفاظ) في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرّض بسبب المعاني والأغراض الّتي يُوضع لها الكلام، ثمّ بحسب موقع بعضها مع بعض، واستعمال بعضها مع بعض (الجرجاني، ١٩٩٢م: ٨٧).

والانزياح الاستبدالي هو الانزياح الذي يقع في جوهر الكلمة دون النّظر إلى الموضوعية في الاستعارة، الكناية، المجاز المرسل والتشبيه، وهو يدرس ميزان التباين الموجود بين المشبّه والمشبّهبه الّذي يؤدّي إلى خرق المألوف وظهور المفاجأة، ما يعطي النّصّ قدرًا كبيرًا من الرّوعة والانجذاب. فكلّما ابتعد طرفا التشبيه والتقيا في نقطة غريبة لايعهدها الذهن كلما يظهر نصيب كبير من الانزياح ارتقاء في مستوى النّصّ الدّلالي ويروح يعلو شيئًا فشيئًا على درجة الصّفر النّصية. وقد توقف البلاغيون أمام عناصر الانزياح الاستبدالي وقفات عقلية

يشرحون وفق اجتهادهم سر الجمال فيها، فالتشبيه جماله في التقريب والتوضيح التفسير، أما الاستعارة فهي للتّأثير، وعن الكناية قالوا: إنّ جمالها تجئ بالحجّة ومعها دليلها هكذا لمِيَرَ البلاغيون تأثيرًا نفسيًا إلّا للإستعارة، أما جمال التشبيه والكناية عندهم عقلي منطقي (الصاوي الجويني، ١٩٨٥م: ١٣٠).

شفيق المعلوف، حياته وآثاره:

شفيق بن عيسى اسكندر المعلوف وُلد في زحلة بلبنان عام ١٩٠٥م وتلقّى تعليمه في مدينة زحلة والتحق فيها بالكليّة الشّرقية وتلمّذ فيها على والده عيسى اسكندر ثمّ شرع في نظم الشّعر وهو في الثّالثة عشر من عمره وفي عام ١٩٢٢م هاجر إلى دمشق حيث كان والده هناك وبدأ عمله الصّحفي في جريدة «ألف باء» لصاحبها عيسى عيسى (البرادعي، ٢٠٠٦م،١/٣٣٧-٣٣٨). من خلال تتبّعنا لسيرة هذا الشاعر وجدناه بالرغم من انشغاله بالتجارة لمينصرف عن الأدب والكتابة ونظم الشّعر ولميتوقّف عن الاتّصال بالأدباء والشعراء الذين انضمّ إليهم في العصبة الأندلسيّة الّتي رأسها غير مرّة وكان المموّل الأكبر لمجلّتها «العصبة»(دقاق، ١٩٨٥م:٦٢).

وفي سنة ١٩٣٦م أصدر ديوانه الثّاني «عبقر» الّذي طهر بمقدّمة وستّة أناشيد ثمّ اتّسعت المقدّمة وازدادت الأناشيد لتصل إلى اثني عشر نشيداً في طبعة الديوان الثانية سنة ١٩٤٩م الّتي صُدّرت بمقدمة طويلة بقلم والده العلّامة عيسى اسكندر تضمّنت مباحث عن عبارات الجاهليّة وخرافات العرب وماشابهما عند الفرس واليونان والرّومان والمصريين والفينيقيين والبابليين والهنود والصّينيين وسواهم. وما أن أطل العام ١٩٥١م حتّى أصدر الشاعر ديوانه الثالث «لكلّ زهرة عبير»، ثمّ أتبعه بديوان الرّابع «نداء المجاديف» (المعلوف، ١٩٤٩م: ٧).من أهمّ آثاره الأخرى ديوان «عيناك» وديوان «سنابل راعوث» وديوان «حبّات زمرُّد» وديوان «ستائر الهودج»، مسرحيّة «ليلي الأخيليّة». توفّي الشاعر في مهجره بالبرازيل عام ١٩٦٧م (خفاجي، ١٩٨٠م: ٦٩٧).

الإنزياح الدّلالي في شعر شفيق المعلوف

على الشاعر والكاتب محاولة زيادة التعقيد والتعددية الروحية للنّصّ باستخدام أساليب خاصّة وتأجيل المعنى إلى الأبد من أجل إضفاء روح فنيّة على عمله. الانزياح

الدّلالي هو انحراف عن القواعد الدّلاليّة الّتي تحكم اللغة المعيارية. يتمّ استخدام مجال المعنى، باعتباره أكثر مستويات اللّغة مرونة، أكثر من المستويات الأخرى في التمييز (صفوى، ١٣٨٣ش: ٨٤). وبهذه الطريقة يمكن القول إن العامل الرئيسي في إنشاء الشعر هو الانزياح الدّلالي؛ لأنّ العلامات اللغوية منفصلة عن دلالاتها المألوفة والمقبولة وتظهر دلالات جديدة في ذهن المخاطب. من أهمّ عناصر هذا النوع هو: التشبيه والاستعارة والتشخيص والتّضاد.

الإنزياح الدّلالي من خلال التشبيه

التّشبيه هو التمثيل والمماثلة، ويقال: شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثلته به، ويعرّفه الرماني بقوله: العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل (الرماني، ١٩٩٤م: ٨٠).

وقد أولى النقاد والبلاغيون العرب التشبيه عناية فائقة، ووقف السكاكي عند موضوعات التشبيه وحاول تأصيل قواعد التشبيه دون الالتفات إلى قيمته أو أثره. كما أنّ اهتمام البلاغيين والنّقاد القدامى بالتّشبيه كان مشروطًا بأنينطلق فيه الشّاعر أو المبدع من مشبه مجرد أو خيالي لايدرك بالحواس إلى مشبه محسوس ومعروف، فالتّشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتّخاذهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال (الزناد، ١٩٩٢م: ١٧٢).

نرى التشبيه في قصيدة «عبقر» لشفيق المعلوف. موضوع القصيدة هو ذلك: ينام الشاعر فيتضحّى، فيرى غمامة يسير تحتها شيطانه، يقبل الشيطان نحو شفيق ويحييه؛ فيخبره الشيطان أنه آتٍ من عبقر، ويدعو الشاعر إلى زيارتها، فيركبه شفيق ويطيران إلى «البلد المرصود» فيعجبه الموضع؛ فيرى الجن أشكالًا وألوانًا وإلى ذلك. عرض شفيق المعلوف حول الشيطان والجن وغيرهم تصويرا مخيفا:

في فَمِهِ مِنْ سَقَرٍ جَذْوَةٌ ... منها يَطِيرُ الشَّرَرُ الثّائِرُ

ووَجْهُهُ جُمْجُمَةٌ راعَني ... أَنْيابُها والمحجر الغائرُ

كأنّما محجرها كوّةٌ ... يُطِلُّ منها الزمنُ الغابرُ

(المعلوف، ١٩٤٩م: ١٧)

وصف معلوف تطاير شرر اللهب من فم الشيطان يمنة ويسرة. إن عيون شيطانه ذات محجر غائر مخيف، كأنها «كوة يُطِلُّ منها الزّمنُ الغابرُ»، وهو تشبيه غير محدود الدلالات، تدل صفة الغبرة فيه على ماض أليم مخيف يعيد على الإنسان آلامه وأحزانه. كان «محجر» مشبه و «كوّة» مشبه‌به وبسبب ذكر المشبه والمشبه‌به، نوع التشبيه فيه البليغ.

يقول معلوف في مكان آخر:

أقفز فوق الأرض مثل القطا ... والله يهديني سواء السبيل

لو شئت أن أعلو أو أهبطا ... أعلو بجيل ثم أهوي بجيل

(المصدر نفسه: ٥٢)

ينصّ الشّاعر على أنّني أقفز من الأرض مثل قطة، وإذا أردت أن أكبر أو أن أكون متفوقًا على الجيل، فإن الله سوف يرشدني. تشبه الشاعر نفسه بالقط. كان «الشاعر» مشبه و«القط» مشبه‌به وبسبب ذكر المشبه والمشبه‌به، نوع التشبيه فيه البليغ.

يترك شفيق المعلوف أمه بوطنه وحيدةً؛ فيقول متألّماً:

وغادَرَ عِنْدَ صَخْرِ الشَّطِّ أمًّا ... تَدُوبُ إلَيْهِ تِحْنانا وشَوْقا

فَما نَضَبَتْ لِمُقْلَتِها دُمُوعٌ ... كأنَّ لِعَيْنِها في البَحْرِ عِرْقا

(خفاجي، ١٩٨٠م: ٣٥٠)

شبّه الشاعر عيني أمّها بالبحر، فـ«عَيْن» مشبه و «البحر» مشبه‌به وأداة التشبيه ووجه الشبه محذوف؛ لذلك كان نوع التشبيه بليغاً.

يبدأ معلوف قصيدة «اسطورة النَّهدين» بحكايةٍ عن حَمامة؛ ذلك الطَّائرُ الَّذي كانَ فرحةَ البِشارةِ إلى نوحٍ بسلامِ الأرضِ واستعدادِها لاستقبالِ النَّاسِ وضَمِّهِم إلى رِحابِ العَيْشِ فيها. إنَّها حَمامَةُ طُهْرٍ، كَما يَقولُ شفيق المعلوف:

حمامةُ طُهْرٍ بِصَدْرِكِ غَلَّتْ ... فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِشَعْرِكِ مُرْخَى

لَوَتْ بِالْجناحَينِ مَذعورةً ... تَخالُ غدائرَكِ السُّودَ فَخَّا

(حسن، ١٩٦٢م: ٨٧)

شبّه الشاعر غدائر بالفخّ. إنّ «غدائر» مشبه و «فخّ» مشبه به وكلاهما موجود في الكلام و أداة التشبيه ووجه الشبه محذوف؛ لذلك نوع التّشبيه في هذا البيت بليغ.

الإنزياح الدّلالي من خلال الإستعارة:

الاستعارة نوع من المَجاز اللغويّ في علم البلاغة، وهو يشابه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الآخر المختلف والذي تودّ إيصاله الجملة، ويتكوّن مما يأتي: المُستعار منه: المعنى الأصلي الذي وُضعَت له العبارة أولاً، وهو «المُشبّه به». المُستعار له: المعنى الفرعي الذي لم تُوضَع له العبارة أولاً وهو «المشبّه». المُستعار: أي اللفظ المَنقول بين المُشبّه والمُشبّه به، أو هو وجه الشّبَه أو العلاقة بينهما. القرينة: هي التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقيّ فتغيره، وهي إمّا لفظيّة وإمّا حاليّة تُبيّن الحال (عتيق، ١٩٨٥م: ٢/١١).

قال شفيق المعلوف قبل رحلته إلى بلاد أحباب في قصيدة «عبقر»:

صاحِ هي اليقظة دبَّت على ... جفنيَّ فاستلانت الموطئا

وعالجت بالنّور بابيهما ... حتى استخارت فيهما ملجأ

(المعلوف، ١٩٤٩م: ٩)

في القصيدة أعلاه، يذكر الشاعر أن الوعي اخترق جفونه، ففحص الأبواب هناك بنور ولجأ إليها. لقد افترض أن الوعي هو شيء يتغلغل في شيء مثل العين. فالوعي مشبه هنا ويشبه بمشبهبه وهو الاختراق. وفقًا لذكر التشبيه وحذف التشبيه، هناك استعارة واضحة هنا.

في «النهر الغي» يلتقي الشاعر سرحوب الأعمى وهوشيطان يسكن الأنهر والبحار، فيقوده في سرداب عميق كثير الشّعاب، فيبرز المعلوف المفارقة: أعمى يقود بصيرا. ويسخر سرحوب من البشر المبصرين فيخاطبهم قائلا:

ماكنتم تخبطون/ في لجة الآثام/ لو أنّكم تبصرون/ مثلي في الظلام

(عوض، ٢٠٠١م: ٣٩).

إن الشاعر شبّه «الإثم والذّنب» بالبحر في كثرته. «الإثم» مستعارٌمنه وفي الكلام

موجود و «البحر» المستعار له و محذوف. كانت الإستعارة مصرّحة لذكر المستعارمنه و حذف المستعارله.

قال شفيق المعلوف في تأبين صديقه الشاعر الكبير «عقل الجر»:

فُطرتُ على الوفاء، فكَم عزيزٍ ... سأبكيه بقلبي ما حييتُ

لكثرة ما فجعتُ وددتُ أنّي ... أبدّل من ذكرتُ بمن نسيتُ

فتنكأ مُهْجَتِي الدّور الخوالي ... ويُوقظ مدمعي الشّملُ الشّتيت

(عوض، ٢٠٠١م: ٧٤)

في المقطع الأخير، يقارن الشاعر الخمر بشخص يوقظ الدموع. «الشمل» والخمر في هذا البيت، مستعارٌمنه و مذكور و «انسان» مستعارله و محذوف؛ لذلك كان نوع التشبيه مصرحة. فضلاً عن ذلك شبّه «المدامع» بـ«انسان». «المدامع» في هذا البيت، مستعارٌمنه ومذكور و«انسان» مستعارله و محذوف؛ لذلك كان نوع التشبيه مصرحة.

بمطالعة أشعار شفيق المعلوف حول الشعر الوطني و القومي نصل إلى هذه النتيجة بأنّ الشئ الهام عند هولاء هو الوطن و ما يحدث فيه من انتشار الفساد والسعي في إصلاحه والحماية عن حركات التحرر القومي وغير ذلك، ثم التكلّم عن الهجرة والحرمان من الأهل والوطن والغربة بالحرارة و الألم. يقول المعلوف في قصيدة الإياب:

وطني مارشفت وردك إلّا ... عاد عنه فَمي بحرقة صادي

في قلوب المغربين جراح ... حملوها على الجباه الجعاد

(عوض، ٢٠٠١م: ٨٠)

شبّه الشاعر في البيت الأول من هذه القصيدة «الفم» بـ «الانسان» الذي قادر على العودة. فـ«الفم» مستعارٌمنه و «الانسان» مستعارله؛ وبسبب حذف مستعارٌله كان نوع الاستعارة تصريحيّة.

شفيق المعلوف حنين إلى ربوع وطنه، ومن ذلك قوله متحسراً علي الوطن الّذي تمكله الإستعمار ولا حق وهو ابنه الأصيل أنيمتلك منه حصاة أو حفنة من تراب، ومن روائع شعره في الحنين قصيدة بعنوان «حنين» يستهلّها بقوله:

وطـــال بي الشّـــوق ولجّ الظّمـــا إلى ليـــالٍ في أعـــالي الكـــروم
يُغـري بهـا البـدرُ صـبايا الحمـى كأنّمـا البـدرُ خـلالَ الغُيـوم

(دقاق، ١٩٨٥م: ٦٧٧)

وشوقي طويل ودخل عطش الليالي الكروم العالية. يغري البدر الفتيات الصغيرات، كما لو كان البدر بين الغيوم. شبّه «الظّمأ» بـ «الانسان» الّذي لجّ وأصرّ. «الظّمأ» مستعارمنه ومذكور في الكلام و «انسان» مستعارله ومحذوف. لذلك كان نوع الإستعارة تصريحية.

الإنزياح الدّلالي من خلال المجاز:

المجاز في اللغة هو التجاوز والتعدّي. وفي الاصطلاح اللغوي هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح بقرينة. أي أن اللفظ يُقصد به غير معناه الحرفي بل معنى له علاقة غير مباشرة بالمعنى الحرفي. والمجاز من الوسائل البلاغية التي تكثر في كلام الناس، البليغ منهم وغيرهم، وليس من الكذب في شيء كما توهّم البعض. وهي تصنف مع علم البيان. المجاز اللّغوي هو لفظٌ استُخدمَ لغير معناه الحقيقيّ لعلاقة معيّنة، فكثيراً ما يستخدم الإنسان لفظاً ولا يقصد معناه الحقيقي بل معنى آخرَ مختلفاً، والمجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة بينهما مع وجود قرينة مانعة من الإسناد الحقيقي. يكون الإسناد المجازى إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره أو يكون بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل (عبدالجليل، ١٩٨٦م: ٩).

إنّ شفيق المعلوف قبل رحيله إلى البرازيل نظم قصيدة (في ذمة الزمان) نضمها الشاعر يوم رحيله؛ فيعكس فيها حالة نفس حزينة مفعمة بمشاعر الأسى، والرغبة في المغامرة على أرض العالم الجديد، إذ يقول:

وَدِّعِـــــي واديًـــا وشَبـــــابًا إنَّ في ذِمَّـــةِ الزَّمـــــان الإيابـــا
وَانْفُـــض عَـــنْ جَناحِـــكِ اللَّهْـــوِ يـــا نَفْـــسُ وَقُـــومِي تُغـــامِرُ الأتْعابَـــا

(دقاق، ١٩٨٥م: ٦٢)

نشاهد في «ذمّة الزّمان» مجاز عقلي بعلاقة زمانية. لأنّ الشاعر انتسب الإياب بالزّمان.

الخاتمة:ـ

توصّل الباحث في هذه الرّسالة إلى نتائج من أبرزها فيما يلي: أسلوب الإنزياح من الأساليب الحديثة الّتي بها ينزاح النظم ويعدل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي. إنّ وظيفة هذه الظاهرة تتمثل في إثارة المتلقي ولفت انتباهه ودفعه للبحث عن الأسرار الكامنة وراء الانحراف عن المألوف. الانزياح بأنواعه قداستُخدم في أدب شفيق المعلوف إلّا أنّ هذه الدّراسة تناولت الانزياح الدّلالي الّذي يتمثّل في التشبيه والاستعارة والمجاز. فهذه الظاهرة قد أدّت إلى تقوية لغته الشّعرية وابتعاده عن الكلام العادي المألوف. إنّ ظاهرة الإنزياح ظهرت في شعر شفيق المعلوف ظهوراً بارزاً حيث أنّه وظّف الانحراف والعدول عن اللغة المألوفة لخلق الخيال والتصوير. استعان الشاعر في رسم صوره الفنيّة بالتشبيه والاستعارة أكثر من استخدام المجاز؛ وتغلب الاستعارة على شعره أكثر من التشبيه وكثيرما يعتمد إلى الاستعارة التصريحية. تعطي الانزياحات الشعرية لشعر شفيق المعلوف بُعداً فنياً بارزاً وهو يحاول أنينقل تجربته إلى المخاطب ببراعة ودقة وتربط بين الواقع والخيال. فقد كانت له قدرة فنية جلية في رسم اصور البلاغية التي تركت أثرها في نفس القارئ.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن منظور، محمد بن مكرم (٢٠٠٩م)، لسان العرب، به كوشش جمال الدين ميردامادى، بيروت: دارالفكر.

٢. برادعي، خالد محي‌الدين (٢٠٠٦م)، المهاجرة والمهاجرون، ط١، دمشق، سوريا: وزارة الثقافة.

٣. الجرجاني، عبدالقادر (١٩٩٢م)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي.

٤. خفاجي، محمد عبدالمنعم (١٩٨٠م)، قصة الأدب المهجري، ط٣، بيروت: دارالكتاب اللبناني.

٥. دقاق، عمر (١٩٨٥م)، ملامح الشعر المهجري، سوريا: جامعة حلب.

٦. الرمّاني، ابوالحسن علي‌بن عيسي (١٩٩٤م)، النكت في الإعجاز القرآن الكريم، مصر: دارالمعارف.

٧. الزناد، الأزهر (١٩٩٢م)، دروس في البلاغة العربية، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي.

٨. سلوم، تامر (١٩٩٦م)، الإنزياح الدلالي الشّعري، علامات، ج ١٩، م٥، ص٨٩-١٢٢.

٩. الصاوي الجويني، مصطفي (١٩٨٥م)، البلاغة العربية تأصيل و تجديد، مصر: منشأة المعارف.

١٠. صفوى، كوروش (١٣٨٣ش)، از زبان‌شناسى به ادبيات، چاپ ١، تهران: سوره مهر.

١١. عبّاس، احسان (١٣٨٤ش)، رويكردهاى شعر معاصر عرب، ترجمه حبيب‌الله عباسي، تهران: سخن.

١٢. عبدالجليل، محمد بدري (١٩٨٦م)، المجاز و اثره في الدرس اللغوي، بيروت: دارالنهضة العربية.

١٣. عتيق، عبد العزيز (١٩٨٥م)، علم البيان، بيروت: دار النهضة العربية.

١٤. عوض، ريتا (٢٠٠١م)، الأسطورة في عبقر شفيق المعلوف، لبنان، بيروت: منشورات دار الآداب.

١٥. غالب، أحمد (٢٠٠٨)، أسلوبية الانزياح في النّصّ القرآني، رسالة جامعية، جامعة مؤتة.

١٦. محمد ويس، احمد (٢٠٠٢م)، الإنزياح في التراث النقدي والبلاغي، دمشق: اتّحاد الكتاب العرب.

١٧. المعلوف، شفيق (١٩٤٩م)، عبقر، الطّبعة الرّابِعَة، البرازيل، سان باولو: منشورات العصبة الأندلسية.

١٨. ناعوري، عيسى (١٩٧٧م)، أدب المهجر،ط٣، القاهرة: دارالمعارف.